



كلية اللغات، الآداب والفنون
القيطرة

شعبة الفنون والوسائط
الفصل الثاني
" مادة " الفن والآداب المقارن

الأستاذة: نورة لغزاري
التاريخ: 3 مايو 2021

الدرس البعدي المكتوب الرابع:

❖ المدرسة الأمريكية والانتقال من التاريخية إلى البنيوية:

نصوص من أجل التأمل (السلسلة 4):

النص الأول:

" قررنا ترجمة الكتاب للأسباب التالية:

- 1- كون المنظور السائد والمعروف عن المدرسة الفرنسية، هو الذي كرس له ترجمات كتب "فان تيجم" و"ماريوس فرانسوا غويار"، وهي ترجمات تهتم في نظرنا بوجهة نظر الجيل الأول والثاني من المقارنين الفرنسيين.
- 2- جهل المقاربات المقارنة في الكتابات العربية لوجهة نظر الجيل الجديد.
- 3- أهمية كتاب روني إيتيامبل من الناحية النظرية، من جهة، وكعلامة على صراع بين المدرستين: الفرنسية والأمريكية، من جهة أخرى.

ولا شك أنه صراع يستدعي انتظار وجهة النظر العربية بعد أن ظهرت كتابات بوجهة النظر السلافية".¹

النص الثاني:

"ضد كل شوفينية:

في سنة 1951، نشر ماريوس فرانسوا غويار الأستاذ المحاضر بكلية الآداب بستراسبورغ، الطبعة الأولى من : "الأدب المقارن" ضمن السلسلة "ماذا أعرف؟ (Que sais-je ?)" وقد استقبل هذا العمل ببرودة في الولايات المتحدة الأمريكية، لقد لاحظ كاليفين براون (M.Calvins Brown) بدهاء أن مواطننا [غويار] يهدف من دراسته إلى تصنيف أعمال المقارنين تحت عناوين بارزة، مثل: الكتاب الفرنسيون في الخارج، الكتاب الأجانب في فرنسا. وعلى هذا الأساس من يقدر إذن على منع العرب أو المسلمين، من اعتبار لغتهم هي لغة الله، ومن أن يعطوا لأدبهم القومي نفس الاتجاه المحوري (The same central position)، ومن ثم، يطالب بقيادة أدبهم المنفرد، بهذه الميزة لكل الآداب. ولماذا لا تصر بلاد كالصين الشعبية باعتبارها دولة قوية بالمليار نسمة الذي ستبلغه قريباً ومعتدة بحضارة عريقة، لها أربعة آلاف سنة بنفس الشيء. فلماذا لا تطالب الدولة الوسيطة، والامبراطورية المركزية ، لأنها بوجهة نظر السيد غويار، والتي يتبناها كمواطن صالح لأدبه.²

النص الثالث:

"لا نريد أن نلغي من تكويننا الدرس التاريخي، إنني أجد من المعقول بأن يدرس كل مقارن/ من وجهة نظر تاريخية، ميدانا للزمن وللفضاء حيث تلعب علاقات الأسباب الدور الأساسي. وبالإضافة إلى تكوينه التاريخي، والسوسيولوجي لن أرفض له الثقافة العامة، وسيكون من الأفضل لو تعرف على الفنون التشكيلية وموسيقى العصر: أتمنى أن يكون مقارننا عالماً بقدر الإمكان. بل أتمنى أن يكون لديه طموح موسوعي: فإذا لم تكن هناك موهبة موسوعية، فلا أحد مجبر قانونياً في رأيي على أن يصير مقارناً. نجد كثيراً من علماء المدرسة الأمريكية يردون الاعتبار للنقد الذي كثيراً ما أهمل من طرف مقارنينا، ولم ينس السيد روني ويليك، كما لم أنس أنا، بأنه في المقارنة لن نقبل بنسيان الأدب في الدرس."³

النص الرابع:

"خصت المدرسة [المقصود الفرنسية] باهتمامها بشكل آلي وأحياناً بمهارة ملحوظة مسائل مثل الشهرة والتوغل، النفوذ والسمعة نحو موضوع "غوته في فرنسا وانجلترا"، وقد طورت منهجاً يذهب إلى أبعد من جمع المعلومات التي تتعلق بالمراجعات و الترجمات والتأثيرات، ليتفحص بإمعان الصورة، ومفهوم كاتب معين في وقت معين، كذلك عوامل التلقي، والجو الخاص والوضع الأدبي الذي أدخل فيه الكاتب الأجنبي، كما ازدادت معرفتنا بالتجارة الخارجية للأدب، ولا تتيح لنا مثل هذه الدراسات أن نحلل ونحكم على عمل فني معين. إن الإلحاح على الأدب المقارن المفهوم بهذه الصورة إنما ينصب على الأمور الخارجية."⁴

النص الخامس:

¹ - روني إيتياميل: أزمة الأدب المقارن، ترجمة سعيد علوش، طبعة 1987، من مقدمة المترجم، ص: 8.

² - روني إيتياميل: أزمة الأدب المقارن، مرجع سابق، ص: 9-10.

³ - نفسه، ص: 69-70 .

⁴ - أوستين وارين- ورنيه ويليك: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، طبعة 1962، ص: 59-60.

"الأدب المقارن هو الفن المنهجي الذي يبحث في علاقات التشابه والتقارب والتأثير، وتقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، وأيضاً، الوقائع والنصوص الأدبية فيما بينها، المتباعدة في الزمان والمكان أو المتقاربة، شرط أن تعود إلى لغات أو ثقافات مختلفة، تشكل جزءاً من تراث واحد من أجل وصفها بصورة أفضل وفهمها وتذوقها. يحدد التعريف تقريب الأدب من مجالات التعبير والمعرفة الأخرى، يقرب نص أدبي من اقتباس سينمائي أو لوحة أو قطعة موسيقية، أو عندما يقارن بين الأدب والتاريخ، والأدب والتحليل النفسي."⁵

النص السادس:

"إن الفنون يفسر بعضها بعضاً من جوانب متعددة، فهناك تفصيلات العمل الأدبي التي قد توضحها إحدى الصور، وتفصيلات اللوحة المصورة التي قد تتضح من خلال عمل أدبي، وهناك الأفكار والموضوعات الأدبية التي قد تلقي الضوء عليها فنون تشكيلية وكذلك موضوعات اللوحات الفنية قد توضحها النصوص الأدبية، وهناك الدراسة المقارنة للغة الأدب ولغة الفن، وأسلوب كل منهما، ثم الحدود المشتركة بين الأدب والفن.

يتناول "فيردي" Verdi (ت. 1901) بموسيقاه بعض موضوعات شكسبير المسرحية، فقد كتب موسيقى لأوبرا عن عطيل وأخرى عن ماكبث، وليس معنى هذا أن فيردي قد لحن مسرحيتي شكسبير، وإنما هو قد لحن نصوصاً مستقاة من هاتين المسرحيتين."⁶

الأفكار الأساسية الواردة في النصوص:

1- النص مأخوذ من المقدمة التي وضعها المترجم "سعيد علوش" لكتاب "روني إيتيامبل":

René Etiemble : La comparaison n'est pas raison, crise de la littérature comparée
وقد حافظت الترجمة على العنوان الفرعي: أزمة الأدب المقارن. تقدم لنا المقدمة التي وضعها المترجم معلومات عن سبب إقباله على ترجمة كتاب "روني إيتيامبل"، وهو تصحيح المنظور العربي المتأثر كثيراً بالجيل الأول للمقارنين الفرنسيين، وكذلك من أجل انفتاح المقارنة على وجهة نظر الأمريكيين والسلاف بخصوص المقارنة.

- يعلن "روني إيتيامبل" من خلال المقطع الثاني من كتابه انتقاد رواد المدرسة الأمريكية للمفاهيم التي روج لها جيل الرواد فيما يخص الأدب المقارن، وقد قدم الانتقاد في شكل ساخر من التوجه الفرنسي الذي يبني مركزيته على مجموعة من العوامل التي يمكن لثقافات أخرى (عربية، إسلامية، صينية...) أن تنسب بها من أجل الإعلان هي الأخرى عن مركزيتها.

2- تأكيد "روني إيتيامبل" على حقيقة مهمة مفادها أن انتقاد الجيل الأول للرواد الفرنسيين لا يعني طمس المرحلة الأولى لظهور الأدب المقارن وتجاهلها، فهي مهمة للدقة الكبيرة التي توختها في بلورة مفهومها للمقارنة انطلاقاً من المنهج التاريخي ومرتكزات الفكر الوضعي، لكن ينبغي أن يضاف إلى ذلك ربط العلائق بين الأدب والفنون والعلوم، مع التركيز على ضرورة الاهتمام بالنص الأدبي بدل الاقتصاد على دراسة العوامل الخارجية..

⁵-دانييل هنري باجو: الأدب العام المقارن، ترجمة غسان السيد، طبعة 1997، ص: 18-19.

⁶- عبد السلام كفاقي: في الأدب المقارن، طبعة 1972، ص: 40-41.

3- يحدد النص مجالات اشتغال الدرس الأدبي المقارن لدى الجيل الأول للمقارنين الفرنسيين، ويكتسي النص أهمية خاصة لكون واحد من مؤلفيه هو "رونيه ويليك"، أحد رواد المدرسة الأمريكية الذي يلح على أن الأدب المقارن لا ينبغي أن يقتصر على التجارة الخارجية للأدب، بل ينبغي الاهتمام بتحليل النص الأدبي..

4- تتضح من خلال النص الرابع الملامح الجديدة للدرس الأدبي المقارن الذي ينبغي أن يبلور رؤية منهجية للمقارنة بين الأدب وبين الفنون والعلوم/ مثل المقارنة بين نص أدبي وفيلم سينمائي، أو لوحة تشكيلية، أو مقطوعة موسيقية، أو حقائق تاريخية أو غيرها.

5- يعكس النص تصورا عربيا للدرس الأدبي المقارن من منظور أمريكي، فهو لعبد السلام كفاقي الذي يعطي أمثلة واضحة للتأثير والتأثر المتبادل بين الأدب بمختلف أشكاله والفنون بشساعة فضاءاتها.

خلاصات تركيبية:

إن سرد مبادئ الدرس الأدبي المقارن من خلال تتبع تاريخي لمدارسه الكبرى لا يعني على الإطلاق منطقاً تتابعياً، بقدر ما يخضع في الكثير من الأحيان للرؤية التزامنية حيث تتعايش تاريخية الدرس مع الدعوة إلى الرؤية النقدية، أو إلى علم اجتماع الأدب، أي أن المدارس تتعايش ولا وجود لمفهوم القطيعة.

حينما أعلن "رونيه ويليك" عن أزمة الأدب المقارن التي جعلها "روني إيتيامبل" عنواناً فرعياً لكتابه: "المقارنة ليست عقلنة"، لم يكن الأمر يتعلق بنهاية الدرس بل كان إعلاناً عن تطوير يصاحب تطور نظرية الأدب والنقد الأدبي، فعلى مستوى نظرية الأدب أصبح بإمكان النص الأدبي الانفتاح على الفنون والعلوم، وعلى مستوى النقد بدأ المنهج البنيوي يحاول تعويض المنهج التاريخي.

حاولت المدرسة الأمريكية تصحيح الانزلاق الذي وقع فيه الرواد الفرنسيون الأوائل الذين أعلنوا في البداية أنهم يسعون من خلال الدرس إلى الكوسموبوليتية، لكن موقع فرنسا وتاريخها التوسعي الإمبريالي، وتكريسها لمركزيتها في الفكر والفنون والعلوم أسقطها، في الشوفينية. إضافة إلى تضيقها الخناق على الدرس الأدبي المقارن بفرض الاختلاف في اللغة وعلاقة الأسباب بالمسببات مع الاعتناء بالتجارة الخارجية للأدب.

صاحب الأزمة أيضاً ظهور المنهج البنيوي الذي أعاد الاعتبار للنص الأدبي إضافة إلى أن أمريكا كانت قارة جديدة، ولا تملك آنذاك تاريخاً استعماريًا، وهي أمة نسيجها مكون من أعراق عديدة، وفدت إليها إبان اكتشافها، لذلك غاب مفهوم المركزية في رؤيتها، ودعت إلى المبدأ الأخلاقي الذي يعترف بلغات وثقافات الأمم، والمبدأ الثقافي المهتم بالقيم الجمالية الإنسانية للأدب.